العزة

مصادرها - أسبابها
مواقف وأحداث

تأليف
محمد بن عبد الله الهبدان

دار الوطن للنشر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ ـــ ٢٠٠١م

دار الوطــن للنشــر - الريــاض

الرياض ـــ ص ب : ٣٣١٠ هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١

- البريــد الإلكترونــي: pop@dar-alwatan.com
- موقعنا على الإنترنت: www.dar-alwatan.com

المقدمة

الحمد لله الذي لا ينال عز عظمته سانح تمثيل، ولا يدرك قعر عزته سابح تخييل، منتزه عن الشبيه والمثيل، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، والصلاة والسلام على القائل: «**بُعثتُ بالسيف حتى يُعبدَ الله لا شريكَ له وجُعِلَ رزقي تحت ظلِّ رُمحي وجُعِلَ الذلةُ والصَّغَارُ على مَنْ خالفَ أمري**» وعلى أصحابه الأفاضل الذين قالوا: (**نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله**) وعلى من سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى حين تعرض الأعمال.

أما بعد:

فما أحوج الأمة اليوم إلى من يعيد لها تاريخها المجيد، وعزها السليب، ذاك المجد الذي استمر قرونًا طويلة، وأزمنة مديدة، ولكن وياحسرة على العباد انحرفت الأمة عن الجادة، وضلت طريقها فراحت تتخبط في دياجير الظلام، وظنت أن كرامتها في تقليد عدوها، والسير على

منواله، فأصابها من الذل والهوان ما لم يمر عليها منذ أن قامت للإسلام قائمة.

وما هذا الجهد المتواضع إلا تذكيراً للأمة بأسباب الغزة، وكيف ترتفع الأمة من غبرائها لتستقر في عليائها، وتصل إلى مقام السيادة والريادة، والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وقارئه وأن يجعلنا من أنصار دينه، والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

تمهيد

١- أسباب اختيار الموضوع

٢- تعريف العزة

٣- تعريف العزة اصطلاحاً

٤- معاني العزة في كلام العرب

٥- معاني العزة في القرآن الكريم

تمهيـــد

أسباب اختيار الموضوع:

١- عدم وجود بحث متكامل في هذا الموضوع - فيما أعلم - المهم في حياة المسلم؛ خاصة في مثل هذا الزمن الذي يضطرب محنا ويموج فتنا.

٢- حتى يبين للناس مفهوم العزة وأنها ليست للذات، ولا الاستعلاء للنفس، إنما هي العزة للعقيدة، والاستعلاء للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين.

٣- وحتى يعلم الناس أيضاً بأن ما معهم هو الخير، وأن دورهم هو أن يطوعوا الآخرين للخير الذي معهم لا أن يطوعوا الآخرين لأنفسهم ولا أن يطوعوا أنفسهم للآخرين وما عند الآخرين![1].

٤- أن العبد إذا رزق العزة رزق الاستعلاء على ركام الأرض فلا تستذله دنيا، ولا طغاة، ورحم الله صاحب

(١) انظر «الظلال»: (ص ٩١٩).

الظلال الذي طُلِب منه أن يكتب استرحاماً فيعفون عنه، بل يضعونه في أعلى المناصب فقال: (**إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة يأبى أن ينحني فيخط كلمة يسترضي بها طاغية**)[١].

٥- أن العزة تعتبر صمام أمان للمجتمع من الشرور والأخطار، فهي تنمي الفضيلة، وتمحق الرذيلة، وبها تستجلب المكارم، وتستدفع المكاره.

لذلك قمت مستعينا بالله تعالى وطالباً منه العون والتسديد في بحث هذا الموضوع الجلل.

تعريف العزة:

العزة مصدر قولهم: عزَّ يَعِزُّ وعِزا.

وأصل هذه المادة: (ع ، ز ، ز)[٢].

وهي تدور حول معاني: الغلبة والقهر، والشدة والقوة، ونفاسة الشيء وعلو قدره.

قال ابن منظور: العز خلاف الذل . . والعز في الأصل

---

(١) انظر «في ضوابط السلوك والمنجيات» لهاشم محمد: (١/ ٩٨).

(٢) انظر «مقاييس اللغة»: (٤/ ٣٨).

القوة والشدة والغلبة، يقال: عزَّ، يَعزُّ بالفتح إذا اشتدَّ، ورجلٌ عزيزٌ: منيعٌ لا يغلب ولا يقهر. وعَزَّ يَعِزُّ - بالكسر - عَزّاً وعِزَّة وعزازةً وهو عَزِيزٌ قَلَّ حتى لا يوجد. ورجلٌ عزيزٌ مِنْ قومٍ أعزةٍ . . وأعزَّ الرجل: جعله عزيزا، وملكٌ أعزُّ: عزيز . . وتعزز الرجل: صار عزيزاً، وتعزز: تشرف[١].

تعريف العزة اصطلاحاً:

عرفت العزة بعدة تعريفات منها:

١- **قال الراغب:** العزة حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب[٢].

٢- **وقال الكفوي:** العزة: الغلبة الآتية على كلية الباطن والظاهر (وهذا في جناب الله تعالى)[٣].

٣- **وقال الغزالي:** من رزقه الله القناعة حتى استغنى بها عن خلقه، وأمده بالقوة والتأييد حتى استولى بها على صفات نفسه فقد أعزه الله في الدنيا وسيعزه في الآخرة بالتقريب إليه[٤].

---

(١) انظر «لسان العرب»: (عزز).
(٢) «المفردات»: (ص ٣٣٣).
(٣) «الكليات» للكفوي: (٦٣٩).
(٤) «المقصد الأسنى»: (٤٧).

٤- **ويمكن أن تعرف العزة بأنها:** ارتباط بالله تعالى، وارتفاع بالنفس عن مواضع المهانة، والتحرر من رق الأهواء، ومن ذل الطمع، وعدم السير إلا وفق ما شرع الله تعالى ورسوله ﷺ.

★ ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن العزة لابد أن يجتمع فيها الأمور التالية:

١- القوة حتى لا يغلب -القوة الإيمانية والجسدية والعلمية -.

٢- القناعة حتى يستغني بها عن الناس.

٣- أن يمده الله بنصره وقوته.

٤- أن يسير على وفق ما أراده الله تعالى.

★ قال الشاعر:

إسْلامُنا بالأمسِ أنشأ أمةً
كانت تعيشُ مذلة وصغارا
فغدت بفضلِ الله أعظمَ أمة
كانَت لكلِّ الحائرينَ منارا
وإذا اتخذنا ديننا منهاجنا
فيه نُربي صفوة أبرارا

يشرون دنياهم بأكرم ميتة
حتى ينالوا جنة الخلد والأنهارا
وإذا تعود الدار أكرم عودة
ونعود نرفع في الديار الغارا[1]

معاني العزة في كلام العرب:

قال الخطابي: العز في كلام العرب على ثلاثة أوجه:

الأول: معنى الغلبة والقهر، ومنه قولهم: مَنْ عَزَّ بَزَّ، أي غلب وسلب، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]. أي: غلبني.

والثاني: معنى الشدة والقوة كقول الهذلي يصف العقاب.

حتى انتهيتُ إلى فِراشِ عَزيزة
سوداءَ رَوْثَةُ أنْفِهَا كالمخْصَفِ

جعلها عزيزة لأنها من أقوى جوارح الطير.

والثالث: أن يكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه: عَزَّ الشيءُ يعِزُّ - بكسر العين - من يعِزُّ فيتأولُ معنى العزيز على هذا أنه لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له ولا

(١) من قصيدة (القدس تصرخ لمأمون جرار).

نظير والله أعلم[(١)].

معاني العزة في القرآن الكريم:

العزة في القرآن على ثلاثة أوجه كما قال بعض المفسرين:

أحدهما: العظمة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

والثاني: المنعة: ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

والثالث: الحمية: ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، وقوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢][(٢)].

★ ★ ★

---

(١) شأن الدعاء لأبي سليمان الخطابي، تحقيق أحمد الدقاق: (ص ٤٧-٤٨).

(٢) انظر «المفردات» للراغب: (٣٣٣).

الفصل الأول

أقســـام العـــزة

القسم الأول: عزة شرعية

القسم الثاني: عزة غير شرعية

* صور من العزة غير الشرعية

الفصل الأول: أقسام العزة

يمكن أن تقسم العزة إلى قسمين:

أ - عزة شرعية. ب- عزة غير شرعية.

فالأول: العزة الشرعية:

وهي التي ترتبط بالله تعالى ورسوله ﷺ، فيعتز المرء بدينه ويرتفع بنفسه عن مواضع المهانة، فهو لا يريق ماء وجهه، ولا يبذل عرضه فيما يدنسه، فيبقى موفور الكرامة، مرتاح الضمير، مرفوع الرأس، شامخ العرين، سالماً من ألم الهوان، متحرراً من رق الأهواء، ومن ذل الطمع، لا يسير إلا وفق ما يمليه عليه إيمانه، والحق الذي يحمله ويدعو إليه[1].

الثاني: العزة غير الشرعية:

كاعتزاز الكفار بكفرهم وهو في الحقيقة ذل، أو الاعتزاز بالنسب على جهة الفخر والخيلاء، أو الاعتزاز بالوطن

---

(١) انظر «الهمة العالية» لمحمد الحمد: (ص ١٦٢) بتصرف يسير.

والمال ونحوها كل هذه مذمومة، وسنعرف من خلال المبحث التالي تفصيل ذلك.

صور من العزة غير الشرعية:

١- الاعتزاز بالكفار من يهود ونصارى ومنافقين وعلمانيين وحداثيين وغيرهم:

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

إن الله - جل جلاله - يسأل في استنكار: لِمَ يتخذون الكافرين أولياء وهم يزعمون الإيمان؟ لِمَ يضعون أنفسهم هذا الموضع، ويتخذون لأنفسهم هذا الموقف؟ أهم يطلبون العزة والقوة عند الكافرين؟ لقد استأثر الله - عز وجل - بالعزة؛ فلا يجدها إلا من يتولاه؛ ويطلبها عنده؛ ويرتكن إلى حماه .. فهي تطلب عنده وإلا فلا عزة ولا قوة عند الآخرين! وما يستعز المؤمن بغير الله وهو مؤمن. وما يطلب العزة والنصرة والقوة عند أعداء الله وهو يؤمن

بالله. وما أحوج ناسا ممن يدعون الإسلام؛ ويتسمون بأسماء المسلمين، وهم يستعينون بأعدى أعداء الله في الأرض، أن يتدبروا هذا القرآن .. إن كانت بهم رغبة في أن يكونوا مسلمين .. وإلا فإن الله غني عن العالمين![1].

٢- الاعتزاز بالآباء والأجداد:

ومن صور الاعتزاز المذموم الاعتزاز بالآباء والأجداد الذين ماتوا على الكفر؛ واعتبار أن بينهم وبين الجيل المسلم نسبًا وقرابة! كما يعتز ناس بالفراعنة والأشوريين والفينيقيين والبابليين وعرب الجاهلية اعتزازاً جاهلياً، وحمية جاهلية.

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي ريحانة: أن النبي ﷺ قال: «**من انتسب إلى تسعة آباء كفار، يريد بهم عزاً وفخراً، فهو عاشرهم في النار**»[2].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فَحْمُ جَهَنَّم، أو ليكونُن**

---

(١) انظر: «الظلال»: (ص ٧٨٠).

(٢) رواه أحمد.

أهون على الله من الجُعَل[١] الذي يُدهْدهُ الخرَاءَ بأنفه إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة[٢] الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقيٌّ وفاجرٌ شقيٌّ، الناس كلهم بنُو آدم وآدمُ خُلِقَ من تراب»[٣].

ذلك أن آصرة التجمع في الإسلام هي العقيدة. وأن الأمة في الإسلام هي المؤمنون بالله منذ فجر التاريخ. في كل أرض، وفي كل جيل. وليست الأمة مجموعة الأجيال من القدم، ولا المتجمعين في حيز من الأرض في جيل من الأجيال.

٣- الاعتزاز بالقبيلة والرهط:

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: ٩١ - ٩٢].

---

(١) الجعل: دويبة سوداء تدير الغائط يقال لها الخنفساء.

(٢) العبية هي: الكبر والفخر والخيلاء.

(٣) رواه الترمذي: ورقمه (٣٩٥٥)، وأبو داود: برقم (٥١١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني: (٣/ ٩٦٤).

﴿أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أجماعة من البشر مهما يكونوا من القوة والمنعة فهم ناس، وهم ضعاف، وهم عباد من عباد الله .. أهؤلاء أعز عليكم من الله؟ .. أهؤلاء أشد قوة ورهبة في نفوسكم من الله؟

﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ وهي صورة حسية للترك والإعراض، تزيد في شناعة فعلتهم، وهم يتركون الله ويعرضون عنه، وهم من خلقه، وهو رازقهم وممتعهم بالخير الذي هم فيه. فهو البطر وجحود النعمة وقلة الحياء إلى جانب الكفر والتكذيب وسوء التقدير ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1].

وعن أبي مالك الأشعري حدثه أن النبي ﷺ قال: «أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قَطِران ودِرعٌ من جَرَبٍ»[2].

---

(١) انظر «الظلال»: (ص ١٩٢٢).

(٢) رواه مسلم: برقم (٩٣٤).

٤- الاعتزاز بالكثرة سواء كان بالمال أو العدد :

قال تعالى في قصة أصحاب الجنة: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ [الكهف: ٣٤].

قال ابن كثير - رحمه الله -: (أي أكثر خدماً وحشماً وولداً.

قال قتادة: تلك والله أمنية الفاجر، كثرة المال وعزة النفر)[١].

قال تعالى في بيان قارون وما جرى منه: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

المال الفائض عن الاستعمال والتداول، وبأن مفاتح هذه الكنوز تعيي المجموعة من أقوياء الرجال .. من أجل هذا بغى قارون على قومه. ولا يذكر فيم كان البغي، ليدعه مجهلاً يشمل شتى الصور. فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم - كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان - وربما بغى عليهم بحرمانهم

(١) «تفسير القرآن العظيم»: (ص ٨١١).

حقهم في ذلك المال. حق الفقراء في أموال الأغنياء، كي لا يكون دولة بين الأغنياء وحدهم ومن حولهم محاويج إلى شيء منه، فتفسد القلوب، وتفسد الحياة. وربما بغى عليهم بهذه وبغيرها من الأسباب.

وعلى أية حال فقد وجد من قومه من يحاول رده عن هذا البغي، ورجعه إلى النهج القويم، الذي يرضاه الله في التصرف بهذا الثراء؛ وهو نهج لا يحرم الأثرياء ثراءهم؛ ولا يحرمهم المتاع المعتدل بما وهبهم الله من مال؛ ولكنه يفرض عليهم القصد والاعتدال؛ وقبل ذلك يفرض عليهم مراقبة الله الذي أنعم عليهم، ومراعاة الآخرة وما فيها من حساب:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٦، ٧٧].

وفي هذا القول جماع ما في المنهج الإلهي القويم من قيم وخصائص تفرده بين سائر مناهج الحياة.

﴿لا تَفْرَحْ﴾ . . فرح الزهو المنبعث من الاعتزاز بالمال، والاحتفال بالثراء، والتعلق بالكنوز، والابتهاج بالملك والاستحواذ . . لا تفرح فرح البطر الذي ينسي المنعم بالمال؛ وينسي نعمته، وما يجب لها من الحمد والشكران. لا تفرح فرح الذي يستخفه المال، فيشغل به قلبه ويطير له لبه، ويتطاول به على العباد . .

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ . . فهم يردونه بذلك إلى الله، الذي لا يحب الفرحين المأخوذين بالمال، المتباهين، المتطاولين بسلطانه على الناس[1].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تنكحوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تنكحوا النساء لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، وانكحوهن على الدين، فلأمة سوداء خرقاء ذات دين أفضل**»[2].

٥- الاعتزاز بالجاه والمنصب:

قال تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ

---

(١) انظر «الظلال»: (ص ٢٧١١).

(٢) رواه البيهقي.

﴿إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤].

فاستغاثوا بعزة عبد ضعيف، عاجز من كل وجه، إلا أنه قد تجبر وحصل على صورة ملك وجنود، فغرتهم تلك الأبهة، ولم تنفذ بصائرهم إلى حقيقة الأمر[١].

قال بعض السلف: (الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله)[٢].

٦- الاعتزاز عند النصح والإرشاد:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

يعني إذا نصحه الناصح، ووعظه بتقوى الله الذي أشهده على نفسه ليرتدع عن منكره وفساده الذي سعى به، يسرع إليه الغضب، ويعظم عليه الأمر، ويأخذه الكبر والأنفة عن قبول النصح والإصغاء إليه، إذ عزة المنصب الذي حصل عليه ألبسته الكبر الذي يجعله ملازماً للإثم، مستهتراً بنصح الناصح، لأنه بإصراره على فعل الفساد مستهزئ بربه،

---

(١) انظر «تفسير ابن سعدي»: (ص ٥٣٩).

(٢) «الفتاوى الكبرى»: (١/ ٦٦).

لأن العزة التي حصل عليها قد لابسته مع الكفر[١].

٧- الاعتزاز بجمال الثياب:

عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً**»[٢].

٨- الاعتزاز بالأصنام والأوثان:

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

فهؤلاء الذين كفروا بربهم يتخذون من دون آلهة يطلبون عندها العزة، والغلبة والنصرة، وكان فيهم من يعبد الملائكة ومن يعبد الجن ويستنصر بهم ويتقون بهم.. كلا فسيكفر الملائكة والجن بعبادتهم، وينكرونها عليهم، ويتبرأون إلى الله منهم ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ بالتبرؤ منهم والشهادة عليهم[٣].

---

(١) انظر «تفسير الشيخ عبدالرحمن الدوسري»: (٣/ ٣٠٤).

(٢) رواه ابن ماجه: برقم (٣٦٠٧)، وحسنه الألباني.

(٣) انظر «تفسير ابن كثير»: (ص ٨٤٤)، «في ظلال القرآن»: (ص ٢٣٢٠).

الفصل الثاني

مصـــادر العـــزة

الفصل الثاني: مصادر العزة

للعزة مصادر شتى لكنها مثل السراب لا حقيقة لها، والعزة الحقيقية لها مصدر واحد وهو الله جل جلاله، والالتجاء إلى جنابه، فهو سبحانه يذل من يشاء، ويعز من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

يقول الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فالله سبحانه هو المعز الحقيقي لمن يشاء إعزازه من البَشرِ، بما يقيض له من الأسباب الموجبة للعز، كالقوة وحماية الذمار، ونصرة الحق، وكثرة الأعوان، ونفاذ الكلمة، وغير ذلك من الصفات التي تجعل الحاصل عليها عزيزاً.

ولا تلازم بين العز والملك، فقد يكون الملك ذليلاً لعدم قوته ونفوذه، أو لعدم استقلاله بسياسته الخرقاء، فيكون منفذاً لإرادة الغير.

وكم من إنسان لا ملك له ولا سلطان، ولكنه يعيش عزيزاً، وله نفوذ وعزة أقوى من نفوذ وعزة السلطان، وذلك لتوفر وسائل العز وأسبابه التي قدرها الله له[١].

يروى أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه حج في بعض الحجاج ومعه زوجته ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل، فإذا هو بجماعة حول رجل يسألونه، فبعضهم يقول: رميت قبل أن أحلق، وبعضهم يقول: حلقت قبل أن أرمي، ويسألونه عن أشياء أشكلت عليهم من مناسك الحج . . فقال: من هذا؟ قالوا: هذا عبدالله بن عمر . . فالتفت إلى زوجته، فقال: هذا وأبيك الشرف، وهذا والله شرف الدنيا والآخرة[٢].

قال القرطبي: (فمن كان يريد العزة لينال الفوز الأكبر ويدخل دار العزة - ولله العزة - فليقصد بالعزة الله سبحانه والاعتزاز به، فإنه من اعتز بالعبد أذله الله ومن اعتز بالله أعزه الله)[٣].

---

(١) «تفسير صفوة الآثار والمفاهيم»: (٤/ ٩٥).

(٢) انظر «جامع بيان العلم وفضله». (٣) تفسير القرطبي: (١٤/ ٣٢٣).

قال أبو بكر الشبلي: (من اعتز بذي العز فذو العز له عز)[١].

وقال الشافعي: (من لم تعزه التقوى، فلا عز له)[٢].

يقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. هذه الحقيقة كفيلة حين تستقر في القلوب أن تبدل المعايير كلها، وتبدل الوسائل والخطط أيضاً!

إن العزة كلها لله. وليس شيء منها عند أحد سواه. فمن كان يريد العزة فليطلبها من مصدرها الذي ليس له مصدر غيره. ليطلبها عند الله، فهو واجدها هناك وليس بواجدها عند أحد، ولا في أي كنف، ولا بأي سبب ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾.

إن الناس الذين كانت قريش تبتغي العزة عندهم بعقيدتها الوثنية المهلهلة؛ وتخشى اتباع الهدى - وهي تعترف أنه الهدى - خشية أن تصاب مكانتها بينهم بأذى. إن الناس هؤلاء، القبائل والعشائر وما إليها، إن هؤلاء ليسوا مصدراً للعزة، ولا يملكون أن يعطوها أو

---

(١) «حلية الأولياء»: (١٠/ ٣٧٤).

(٢) «السير»: (١٠/ ١٨٥).

يمنعوها ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾.

وإذا كانت لهم قوة فمصدرها الأول هو الله. وإذا كانت لهم منعة فواهبها هو الله. وإذن فمن كان يريد العزة والمنعة فليذهب إلى المصدر الأول، لا إلى الآخذ المستمد من هذا المصدر، ليأخذ من الأصل الذي يملك وحده كل العزة، ولا يذهب يطلب قمامة الناس وفضلاتهم. وهم مثله طلاب محاويج ضعاف!

إنها حقيقة أساسية من حقائق العقيدة الإسلامية. وهي حقيقة كفيلة بتعديل القيم والموازين، وتعديل الحكم والتقدير، وتعديل النهج والسلوك، وتعديل الوسائل والأسباب! ويكفي أن تستقر هذه الحقيقة وحدها في أيّ قلب لتقف به أمام الدنيا كلها عزيزاً كريماً ثابتاً في وقفته غير مزعزع، عارفاً طريقه إلى العزة، طريقه الذي ليس هنالك سواه!

إنه لن يحني رأسه لمخلوق متجبر. ولا لعاصفة طاغية. ولا لحدث جلل. ولا لوضع ولا لحكم. ولا لدولة ولا لمصلحة، ولا لقوة من قوى الأرض جميعاً. وعلام؟

والعزة لله جميعاً. وليس لأحد منها شيء إلا برضاه؟[١].

كما قال تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]، فالعزة لله وحده، فهي تطلب عنده وإلا فلا عزة ولا قوة عند الآخرين. ولذا رد الله تعالى على المنافقين الذين ادعو أن العزة لهم فقال: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذه الآية نزلت في عبدالله بن أبي ابن سلول[٢].

وفصل ابن إسحاق هذا في حديثه عن غزوة بني المصطلق سنة ست على المريسيع .. ماء لهم .. فبينا رسول الله ﷺ على ذلك الماء - بعد الغزوة - وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له: جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عون ابن الخزرج على

---

(١) «ظلال القرآن»: (ص ٢٩٣٠).

(٢) «ظلال القرآن»: (ص ٣٥٧٥) وما بعده.

الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين. فغضب عبدالله بن أبي ابن سلول، وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم غلام حدث. فقال: أو قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا. والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم: أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم. فمشى به إلى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب. فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله. فقال رسول الله ﷺ: «**فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكن أذن بالرحيل**». وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها. فارتحل الناس، وقد مشى عبدالله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم

قد بلغه ما سمع منه - فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به. وكان في قومه شريفاً عظيماً. فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل. حدبًا على ابن أبي ابن سلول ودفعاً عنه.

قال ابن إسحاق: فلما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها. فقال له رسول الله ﷺ: «**أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟**» قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال: «**عبدالله بن أبي**» قال: وما قال؟ قال: «**زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل؟**» قال: فأنت يا رسول الله لتخرجنه منها إن شئت. هو والله الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله ارفق به. فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوِّجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً!

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى

أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس. ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبدالله بن أبي.

قال ابن إسحاق: ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين، في ابن أبي ومن كان على مثل أمره. فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأُذُن زيد بن أرقم، ثم قال: «هذا الذي أوفى لله بأذنه» .. وبلغ عبدالله بن عبدالله بن أبي الذي كان من أمر أبيه.

قال ابن إسحاق. فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبدالله أتى رسول الله فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه. فإن كنت لابد فاعلاً فمَرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله،

فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار. فقال رسول الله ﷺ: **«بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا»**.

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه. فقال رسول الله ﷺ لعمر ابن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: **«كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي: اقتله لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم تقتله لقتلته»** . . قال: قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله أعظم بركة من أمري . .

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبدالله بن عبدالله بن أبي على باب المدينة، واستلَّ سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلمّا جاء أبوه عبدالله بن أبي قال له ابنه: وراءك! فقال: مالك؟ ويلك! فقال: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله فإنه العزيز وأنت الذليل! فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقة، فشكا إليه عبدالله بن أبي ابنه. فقال ابنه عبدالله: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له. فأذن له رسول الله ﷺ

فقال: أما إذ أذن رسول الله فجز الآن . .

إنها صورة رائعة . . صورة الرجل المؤمن عبدالله بن عبدالله بن أبي. وهو يأخذ بسيفه مدخل المدينة على أبيه فلا يدعه يدخل. تصديقاً لمقاله هو: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾. ليعلم أن رسول الله ﷺ هو الأعز. وأنه هو الأذل. ويظل يقفه حتى يأتي رسول الله ﷺ فيأذن له. فيدخلها بإذنه. ويتقرر بالتجربة الواقعة من هو الأعز ومن هو الأذل. في نفس الواقعة. وفي ذات الأوان.

ألا إنها لقمة سامقة تلك التي رفع الإيمان إليها أولئك الرجال. رفعهم إلى هذه القمة، وهم بعد بشر، بهم ضعف البشر، وفيهم عواطف البشر، وخوالج البشر. وهذا هو أجمل وأصدق ما في هذه العقيدة، حين يدركها الناس على حقيقتها، وحين يصبحون هم حقيقتها التي تدب على الأرض في صورة أناسي تأكل الطعام وتمشي في الأسواق[1].

★ ★ ★

(١) «الظلال»: (٦/ ٣٥٧٥).

الفصل الثالث
أسبـــاب العـــزة

١- الإيمان بالله تعالى وطاعته

٢- الإيمان باليوم الآخر

٣- الإيمان بالملائكة

٤- الإيمان بالرسل والانتماء إليهم

٥- الجهاد في سبيل الله

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٧- التواضـع

٨- العلـــم

٩- العفو عن الناس مع المقدرة

١٠- اليقين بأن المستقبل لهذا الدين

الفصل الثالث: أسباب العزة

لنيل العزة أسباب كثيرة منها:

١- الإيمان بالله تعالى وطاعته:

يقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

قال قتادة - رحمه الله -: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: فليتعزز بطاعة الله عز وجل[١].

قال الزجاج معناه: (من كان يريد بعبادة الله عز وجل العزة والعزة له سبحانه فإن الله عز وجل يعزه في الآخرة والدنيا)[٢].

وقال ﷺ مفسراً لقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: «من أراد عز الدارين فليطع العزيز» وهذا معنى قول الزجاج.

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (ص ١١٠٢).

(٢) «تفسير القرطبي»: (١٤/ ٣٢٣).

قال ابن القيم - رحمه الله -: (من كان يطلب العزة فليطلبها بطاعة الله بالكلم الطيب والعمل الصالح)[١].

ولذا كان من دعاء بعض السلف: (اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك)[٢].

قال إبراهيم الخواص: (على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه ويقيم له العز في قلوب المؤمنين فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾)[٣].

وقال بعض السلف: (الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله)[٤].

وقال الحسن: (وإن هملجت بهم البراذين، وطقطقت بهم البغال، إنَّ ذلَّ المعصية لفي قلوبهم، أبى الله عز وجل إلا أن يذل من عصاه وذلك أن من أطاع الله تعالى فقد والاه، ولا يذل من والاه ربه كما في دعاء القنوت: «إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت»)[٥].

قال ابن القيم: (وفي الحديث: «اللهم أعزنا بطاعتك ولا

---

(١) «طريق الهجرتين»: (ص ٨). (٢) «الجواب الكافي»: (ص ٨١).
(٣) «حلية الأولياء»: (١٠/٣٢٧). (٤) «إغاثة اللهفان»: (١/٤٨).
(٥) «إغاثة اللهفان»: (١/٤٨)، وانظر: «الفتاوى الكبرى»: (١/٦٦).

تذلنا بمعصيتك»)[١].

وقال بعضهم: (من المعصية إلى عز الطاعة، فالعزة من جنس القدرة والقوة، وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»).

وعلى قدر طاعة العبد ربه يكون عزه ورفعة مكانه كما قال ابن القيم - رحمه الله -: (والمقصود أن بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمنُ والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلةُ والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة)[٢].

٢- الإيمان باليوم الآخر:

من أسباب عزة المؤمن إيمانه باليوم الآخر، وأن هذه الدنيا دار فناء لا دار بقاء، فلا يتحسر على فواتها، ولا يُستذل

---

(١) «طريق الهجرتين»: (١/ ١٨٧).

(٢) «زاد المعاد»: (١/ ١٣٦).

من أجلها، ولا يحزن على فراق لذاتها، لأنها متاع قليل كما قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

فسمى الله تبارك وتعالى ما زين للناس من زهرة الدنيا متاعاً، لأنه يتمتع به ثم يزول، أما نعيم الآخرة فهو باق، ليس له نفاد، ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وقد ضرب الله تعالى مثلاً لسرعة زوال الدنيا وانقضائها بالماء النازل من السماء الذي يخالطه نبات الأرض فيخضر ويزهر ويثمر، وما هي إلا فترة يسيرة فتزول تلك البهجة، فيذوي ويصفر، ثم تعصف به الرياح في كل مكان، وكذلك زينة الدنيا من الشباب والمال والأبناء والسلطان والطغيان .. كلها تتلاشى وتنقضي، فالشباب سيعقبه الهرم، والصحة والعافية يلاحقها المرض، والأموال والأولاد يطاردهم الفناء قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا

﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦].

وقد صور لنا رسول الله ﷺ قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه - وأشار بالسبابة - في اليم فلينظر بم يرجع»[(١)].

فإذا تأمل المؤمن هذه الحقائق وعلم أن الله تعالى أعد للمتقين مفازاً، حدائق وأعناباً، وكواعب أترابا فإنه سيكون عزيزاً قوياً بإذن الله تعالى. قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

وموضع سَوط في الجنة خير من الدنيا قال ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم: (٢٨٥٨).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

إن رسوخ هذه الحقائق في القلوب يورثها العز الذي يتعالى على لذات الدنيا وشهواتها، ويترفع عن حطامها الفاني، ومتاعها الزائل.

٣- الإيمان بالملائكة:

إن إيمان العبد بالملائكة يجعله عزيزاً؛ لأنه يعلم حينها أنه ليس وحده على الطريق؛ فلا يستوحش من قلة السالكين، وكثرة الهالكين، ومعاداة المعاندين، فإن معه ملائكة كرامًا بررة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

كيف يستوحش المؤمن في الطريق وهو يعلم قول النبي ﷺ حينما قال في البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «**فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم**»[1].

كيف يكون ذليلاً حقيراً من يعلم قول النبي ﷺ فيما رواه مسلم عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك**» فعلى ذلك فإن الذين يأتون بجهنم يوم القيامة

(١) رواه البخاري ومسلم.

أربعة آلاف وتسعمائة مليون ملك!!

كيف لا يكون عزيزاً من علم قول النبي ﷺ حينما قال لأصحابه: «**أتسمعون ما أسمع؟**» قالوا: ما نسمع من شيء، قال: «**إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم**»[(١)].

فهل يمكن لجيوش الدنيا أن تقف أمام هذا العدد الهائل من الملائكة؟! بل أمام ملك واحد منهم الذي بيَّن النبي ﷺ صفته ألا وهو جبريل عليه السلام . . فقال عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه: «**رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدّ الأفق!! يسقط من جناحه التهاويل - أي الأشياء المختلفة الألوان - من الدر واليواقيت**»[(٢)].

وروى أبو داود عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أذن لي أن أحدث عن أحد حملة العرش، ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن حكيم بن حزام، قال الألباني في السلسلة (٨٥٢): صحيح على شرط مسلم.

(٢) قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: (١/ ٤٧): إسناده جيد.

(٣) رواه أبو داود والضياء، وصححه الألباني وهو في السلسلة الصحيحة رقم (١٥١).

٤- الإيمان بالرسل والانتماء إليهم :

من أسباب العزة أيضاً شعوره بانتمائه إلى كوكبة الأنبياء، وزمرة الأصفياء، الذين هم خيرة الله في أرضه، وأكرمهم على الله، اصطفاهم الله من بين العالمين، كما قال تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا**﴾ [مريم: ٥٨]، ونصرهم على العالمين، وجعل لهم العزة والتمكين، ورفع ذكرهم، وأعلا شأنهم ورفع قدرهم.

فالمؤمن حينما يستعرض موكب الرسالات، وموكب الرسل، منذ فجر البشرية، ومنذ أول نبي - آدم عليه السلام - إلى رسالة النبي الأمي ﷺ فماذا يرى؟ يرى هذا الموكب المتطاول المتواصل، موكب الهدى والنور .. ويرى فضل هذه الكوكبة على البشرية التائهة، ويرى الخير العظيم الذي نشرته في العالمين .. حينها يعلم أنه يعتمد على ركن عظيم.

٥- الجهاد في سبيل الله :

إن من المعلوم من الدين بالضرورة ما للجهاد في سبيل

رفعة راية الدين من مكانة عالية، ومنزلة رفيعة، ومرتبة سامية . . ولذا عده النبي ﷺ من أفضل الأعمال عقب الإيمان بالله وبرسوله كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سئل: أي الأعمال خير وأفضل؟ قال: **«إيمان بالله ورسوله»** قال: ثم أي؟ قال: **«ثم جهاد في سبيل الله سنام العمل»** الحديث رواه أحمد وغيره بإسناد حسن.

فإذا تجرد الإنسان من كل ملذات الدنيا وشهواتها، وألقى بنفسه في ساحات الوغى، وليس له هدف ولا أمل إلا في رفعة راية الدين خفاقة، فإن الله تعالى يكرمه برفعة مقامه وإعلاء شأنه، قال بعض الحكماء: سيف الجهاد والقتال هو آية العز، وبه مصرت الأمصار، ومدنت المدن، وانتشر الدين الإسلامي، ونفذت تشريعاته، وبه حمي الإسلام من عبث العابثين في غابر الزمان، ويحميه من طمع الطامعين في الحاضر، وبه امتدت سيطرة الإسلام إلى ما وراء جبال الأورال شمالاً وخط الاستواء جنوباً، والصين شرقاً، وجبال الميرن غرباً[1].

(١) انظر «صفوة الآثار والمفاهيم»: (٣/ ٣٣٤).

وإذا تقاعس المسلمون عن الجهاد خانوا أمانة الله في نصرة دينه، ونقضوا بيعة الله التي بايعهم فيها على النفس والمال، فصار أمرهم إلى هذه الحال، ويصير أسوأ منها، لتفضيلهم العيش الرخيص واللذة الحيوانية، عيش الذل، وفرض الإرادة عليهم من اليهودية العالمية على حياة العز، واستلام العالمية التي أوجبت الله عليهم انتزاعها من اليهود، ولم تصبح اليهودية عالمية تسير الغرب والشرق إلا بسبب تفريط الأمة المحمدية، ورفض استجابتها لنداءات الله التي تحقق لها الحياة الطيبة، وانعكاس أمرها باستجابتها لمخططات أعدائها، المفسدة لعقولها وأجسامها، والقالبة لأوضاعها رأساً على عقب[٢]، ولذا كتب الله تعالى الذلة والصغار إذا ترك ذروة سنام الإسلام، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»**[٢].

---

(١) انظر: «صفوة الآثار والمفاهيم»: (٣/ ٢٤١).

(٢) رواه أبو داود: برقم (٣٤٦٢).

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد جعل الله تعالى من أسباب عزة الأمة وكرامتها القيام بهذه الشعيرة العظيمة والتي بسببها كرمت على سائر الأمم، وفضلت على العالمين، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال أبو عبدالرحمن العمري: من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الله تعالى، فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لاستخف به[١].

وانظر ماذا يحدث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزة وكرامة! يقول أبو الحسن الباجي: (طلع شيخنا عز الدين - ابن عبدالسلام - مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة، فشاهد العساكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان،

(١) «صفوة الصفوة»: (٢/ ١٨١).

فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه: يا أيوب .. - هكذا .. بلا مقدمات أو تبجيلات - ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوئ لك ملك مصر، ثم تبيح الخمور؟ فقال: هل جرى هذا؟ فقال: نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، يناديه بأعلى صوته، والعساكر واقفون، فقال: يا سيدي، هذا ما أنا عملته، هذا من زمان أبي، فقال: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة.

يقول الباجي: سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر: يا سيدي كيف الحال؟ فقال: يابني رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر نفسه فتؤذيه، فقلت: يا سيدي أما خفته؟ فقال: والله يا بني استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامي كالقط»[1].

وهذا الإمام الحافظ عبدالغني المقدسي - رحمه الله - كان شديد الإنكار للمنكر لا يرى شيئاً إلا أنكره، يقول

(١) «طبقات الشافعية»: (٨/ ٢١١-٢١٢).

نصر بن رضوان المقرئ: ما رأيت أحداً على سيرة الحافظ، كان مشتغلاً طوال زمانه قيامة في المنكر كان لا يرى منكراً إلا غيره بيده أو بلسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، قد رأيته مرة يهريق خمراً فجبذ صاحبه السيف فلم يخف منه وأخذه من يده، وكان قوياً في بدنه وكثيراً ما كان بدمشق ينكر ويكسر الطنابير والشبابات.

قال خالي الموفق: كان الحافظ لا يصبر عن إنكار المنكر إذا رآه، وكان مرة أنكرنا على قوم وأرقنا خمرهم وتضاربنا، فسمع خالي أبو عمر فضاق صدره وخاصمنا، فلما جئنا إلى الحافظ طيب قلوبنا وصوب فعلنا وتلا ﴿وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، وسمعت أبا بكر بن أحمد الطحان قال: كان بعض أولاد صلاح الدين قد عملت لهم طنابير وكانوا في بستان يشربون، فلقي الحافظ الطنابير فكسرها، قال: فحدثني الحافظ قال: فلما كنت أنا وعبدالهادي عند حمام كافور إذا قوم كثير معهم عصي فخففت المشي وجعلت أقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فلما صرت على الجسر لحقوا صاحبي

فقال: أنا ما كسرت لكم شيئاً هذا هو الذي كسر، قال: فإذا فارس يركض فترجل وقبل يدي وقال: الصبيان ما عرفوك.

وكان قد وضع الله له هيبة في النفوس، سمعت فضائل ابن محمد بن علي بن سرور المقدسي يقول: سمعتهم يتحدثون بمصر أن الحافظ كان قد دخل على العادل فقام له، فلما كان اليوم الثاني جاء الأمراء إلى الحافظ مثل سركس وأزكش فقالوا: آمنا بكراماتك يا حافظ. وذكروا أن العادل قال: ما خفت من أحد ما خفت من هذا! فقلنا: أيها الملك هذا رجل فقيه. قال: لما دخل ما خيل إليَّ إلا أنه سبع[1].

٧- التواضع:

ومن أسباب العز تواضع العبد وخفض جناحه للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ٣].

قال ابن كثير - رحمه الله -: (أي بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك).

---

(١) «سير أعلام النبلاء»: (٢١/ ٤٥٤).

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[١].

عن عابس بن ربيعة قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر: يا أيها الناس تواضعوا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تواضع لله رفعه الله، فهو في نفسه صغير وفي أعين الناس عظيم، ومن تكبر وضعه الله عز وجل، فهو في أعين الناس صغير وفي نفسه كبير، وحتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير»[٢].

ولقد أحسن من قال:

وإذا تذللت الرقاب تواضعاً منا إليك فعزها في ذلها

٨- العلم:

ومن أسباب العزة حمل العلم ونشره بين الناس قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

---

(١) رواه مسلم: برقم (٢٥٨٨).

(٢) رواه الشهاب في مسنده: (١/ ٢١٩)، ورقمه (٣٣٥).

قال ابن القيم - رحمه الله -: (العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة ما لا يرفعه الملك ولا المال ولا غيرهما، فالعلم يزيد الشريف شرفاً، ويرفع العبد المملوك حتى جلّسه مجالس الملوك، كما ثبت في الصحيح[1] من حديث الزهري عن أبي الطفيل، أن نافع بن عبدالحارث لما أتى لقي عمر بن الخطاب بعسفان - وكان عمر استعمله على مكة - فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبزى، فقال: من ابن أبزي؟ قال: رجل من موالينا، قال عمر: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، فقال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً يضع به آخرين**».

قال أبو العالية: (كنت آتي ابن عباس وهو على سريره وحوله قريش فيأخذ بيدي، فيجلسني معه على السرير فتغامر بي قريش، ففطن لهم ابن عباس فقال: كذا هذا العلم، يزيد الشريف شرفاً، ويجلس المملوك على الأسرة).

---

(١) صحيح مسلم: برقم (٨١٧).

وقال إبراهيم الحربي: (كان عطاء بن أبي رباح عبداً أسود لامرأة من أهل مكة، وكان أنفه كأنه باقلاء، قال: وجاء سليمان بن عبدالملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حوّل قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما، فقاما، فقال: يا بني لا تنيا في طلب العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود).

وقال خيثمة بن سليمان: (سمعت ابن أبي الخناجر يقول: كنا في مجلس يزيد بن هارون والناس قد اجتمعوا إليه، فمر أمير المؤمنين فوقف علينا في المجلس، وفي المجلس ألوف إلى أصحابه، وقال: هذا الملك . . .).

وقال سفيان الثوري: (من أراد الدنيا والآخرة فعليه بطلب العلم).

وقال عبدالله بن داود: (سمعت سفيان الثوري يقول: إن هذا الحديث عزٌّ، فمن أراد به الدنيا وجدها، ومن أراد به الآخرة وجدها).

وقال النضر بن شميل: (من أراد أن يشرف في الدنيا والآخرة فليتعلم العلم، وكفى بالمرء سعادة أن يوثق به في دين الله، ويكون بين الله وبين عباده).

وقال سفيان بن عيينة: (أرفع الناس منزلة عند الله من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء)[١].

يقول ابن عباس: (ذللت طالباً فعززت مطلوباً)[٢].

قال ابن القيم - رحمه الله - أيضاً: (إن من نال شيئاً من شرف الدنيا والآخرة فإنما ناله بالعلم).

وتأمل ما حصل لآدم من تميزه على الملائكة واعترافهم له بتعليم الله له الأسماء كلها ثم ما حصل له من تدارك المصيبة والتعويض عن سكنى الجنة بما هو خير له منها بعلمِ الكلمات التي تلقاها من ربه.

وما حصل ليوسف من التمكين في الأرض والعزة والعظمة بعلمه بتعبير تلك الرؤيا، ثم علمه بوجوه استخراج أخيه من إخوته بما يقرون به ويحكمون هم به حتى آل الأمر

---

(١) انظر «مفتاح دار السعادة»: (١/ ٥٠١) وما بعده باختصار.

(٢) «مفتاح دار السعادة»: (١/ ٥٠٩).

إلى ما آل إليه من العز والعاقبة الحميدة وكمال الحال التي توصل إليها بالعلم كما أشار إليه سبحانه في قوله: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، جاء في تفسيرها: نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته بالعلم.

وقال في إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ [الأنعام: ٨٣]، فهذه رفعة بعلم الحجة، والأول رفعة بعلم السياسة.

وكذلك ما حصل للخضر بسبب علمه من تلمذة كليم الرحمن له وتلطفه معه في السؤال حتى قال: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

وكذلك ما حصل لسليمان من علم منطق الطير حتى وصل إلى ملك سبأ وقهر ملكتهم واحتوى على سرير ملكها ودخولها تحت طاعته ولذلك قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

وكذلك ما حصل لداود من علمه نسج الدروع من الوقاية من سلاح الأعداء.

وعدد سبحانه هذه النعمة بهذا العلم على عباده فقال: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وكذلك ما حصل للمسيح من علم الكتاب والحكمة والتوارة والإنجيل ما رفعه الله به إليه وفضله وكرمه[١].

٩- العفو عن الناس مع المقدرة:

من أسباب العزة العفو عن الناس وتجاوز عثراتهم، فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[٢].

وعن أبي كَبشةَ الأنماريِّ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ثلاثة أقسم عليهن وأحدثُكُم حديثاً فاحفظوه**» قال: «**ما نقص مالُ عبدٍ من صدقة، ولا ظُلِمَ عبدٌ مظلمةً فصبر عليها**

(١) «مفتاح دار السعادة»: (١/ ٥٢١-٥٢٢).

(٢) رواه مسلم: برقم (٢٥٨٨).

إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبدٌ بابَ مسألة إلا فتح الله عليه باب فقرٍ أو كلمة نحوها»[١] الحديث.

وإذا أردت أخي المسلم أن تعرف عظمة العفو عن الناس ومقدار ما يصيب الإنسان من العزة والكرامة من جرائه فتذكر ذلك الإعلان العظيم الذي أعلنه النبي ﷺ حينما فتح مكة وتمكن من رقاب خصومه، تمكن من أعداء الدعوة، تمكن من أولئك الذين كانوا ينصابون له العداء، تمكن من الذين حاولوا مراراً وتكراراً قتله والقضاء عليه، ومع ذلك أعلن ﷺ العفو العام عن أهل مكة إلا نفرا قليلاً، فعندما اجتمعوا إليه قرب الكعبة ينتظرون حكمه فيهم فقال له: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟**» فقالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم فقال: «**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم**» وفي رواية: أنه قال لهم: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[٢].

فيا لها من صورة ما أروعها! ويا لها من أخلاق ما

---

(١) رواه الترمذي: (٢٣٢٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) انظر «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»: (ص ٥٦٩).

أجملها! تقول عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى»[١].

كان ﷺ يتمثل توجيه ربّ العزّة له: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

يقول أنس رضي الله عنه: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ، وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء[٢].

وعندما أخطأ إخوة يوسف عليه .. فذاق بسببهم صنوفاً من المحن، وأنواعاً من الاضطهاد، عبودية ورق .. وسجن وظلم، وفرقة وشتات .. مع ذلك كله عندما تمكن

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

منهم ما زاد إلا أن قال لهم: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وحينما اجتاحت موجة الحزن نفسَ أبي بكر لما سمع من حديث الإفك، تلوكه بعض الألسن الآثمة، فتنال من ابنته عائشة أم المؤمنين آلى على نفسه أن يقطع عونه عن أولئك الجاحدين للفضل ممن خاضوا في هذا الحديث الآثم، فتنزل قوله تعالى فيه: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

فعفا وأعاد العطاء رضي الله عنه. يقول النبي ﷺ لعقبة بن عامر حين قال: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال؟ قال: يا عقبة «صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك» وفي رواية: «واعف عمن ظلمك»[1].

١٠- اليقين بأن المستقبل لهذا الدين:

إن دين الإسلام هو الدين الحق الذي كتب الله عز وجل

---

(١) رواه أحمد والطبراني.

له البقاء، وقضى وقدر سبحانه أن الله ناصر دينه، ومعل كلمتَه، مهما طال الزمان أو قصر، ومهما تكالب الأعداء للفتك به وبأهله فإن الدائرة على الكافرين قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

إذن المستقبل لهذا الدين، والعزة لأهل هذا الدين، والتمكين للمتمسكين بهذا الدين، العاضِّين عليه بالنواجذ، المهتدين بهديه، المستنين بسنته، المقتفين أثره، السائرين على منهاجه، قال جل جلاله في تجلية هذه الحقيقة الكبرى، والنعمة العظمى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٥، ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

وإن ديناً كتب الله له الظهور، ولأهله النصر والتمكين في الأرض لابد أن يستعلي ويهيمن، وأن يصبح أهله أهل القيادة والسيادة، فيملأون الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وأن يحرروا الناس من عبودية المخلوقات إلى عبادة الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، الذي ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

إن استقرار هذا المعنى في قلوب أهل الإيمان في هذا الزمان يبعد خواطر التشاؤم عن القلوب، ويبعث على التفاؤل بتمكن الإسلام في القلوب، وضرورة غلبته، وظهوره وهيمنته على سائر الأمم والشعوب، عن تميم الداريِّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وَبَرٍ

إلا أدخله الله هذا الدين بعزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل عزاً يعزُّ الله به الإسلام وذلاً يذلُّ الله به الكفر»، وكان تميمٌ الدَّاري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعزُّ، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذُّلُّ والصغارُ والجزية.

★ ★ ★

الفصل الرابــع

مواقف وأحداث في طريق العزة

١- إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
٢- أسامة بن زيد مع حكيم بن حزام.
٣- عمر بن الخطاب مع أبي عبيدة رضي الله عنهما.
٤- ربعي بن عامر وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة مع رستم.
٥- الغلام المؤمن.
٦- عبدالله بن حذاقة السهمي.
٧- حماد بن سلمة مع محمد بن سليمان.
٨- سعيد بن المسيب مع عبدالملك بن مروان.
٩- مالك بن أنس مع هارون الرشيد.
١٠- محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب مع المهدي.
١١- طاووس مع هشام بن عبدالملك.
١٢- سالم بن عبدالله مع هشام بن عبدالملك.
١٣- الإمام البخاري مع أمير بخارى.
١٤- الشيخ عبدالحميد الجزائري والمندوب السامي.
١٥- الشيخ حسن العدوي أمام السلطان العثماني.
١٦- أحد علماء الأزهر والسلطان عبدالعزيز.
١٧- الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي مع خورشيد.

الفصل الرابع
مواقف وأحداث في طريق العزة

لقد جرى في تاريخ الأمة الطويل مواقف كلما تذكرها المسلم عرف أنه ينتسب إلى أمة أعزها الله تعالى، ورفع من شأنها، وأعلى من مكانها، فكيف يليق بمن ينتسب لهذه الأمة أن يضع رأسه في التراب، وأن يترك زمام المبادرة في قيادة العالم لغيره، فإليك أخي القارئ نماذج فذة، ومواقف باهرة، وأحداث عظيمة:

موقف إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عندما قذف الله تعالى الإسلام في قلب عمر رضي الله عنه أخذ سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته؛ قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فإذا هو بعمر متوشح بالسيف! فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال: يا رسول الله! هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف، فقال حمزة: فأذن له؛ فإن كان جاء

يريد خيراً بذلناه، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «**ايذن له**» فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة فقال: «**ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة!**» قال عمر: يا رسول الله ﷺ جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله! قال: «**فكبر رسول الله تكبيرة فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوهم**»[1].

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: سألت عمر بن الخطاب؛ لأي شيء سميت الفاروق؟ قال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام - ثم قص عليه قصة إسلامه وقال في آخره - قلت -: أي حين أسلمت يا رسول الله! ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال. بلى! والذي نفسي بيده؛ إنكم على الحق وإن متم وإن حييتم، قال: قلت:

(١) «البداية والنهاية»: (٣/ ٤٠).

ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فأخرجنا في صفين، حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد، قال فنظرت إليّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، سماني رسول الله ﷺ الفاروق يومئذ[١].

وعن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه قال: لما أسلم عمر ظهر الإسلام، ودعي إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به[٢].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»[٣].

□ موقف أسامة بن زيد مع حكيم بن حزام:

عن حكيم بن حزام قال: كان محمد ﷺ أحب رجل من الناس إليّ في الجاهلية، فلما نبئ ﷺ وخرج إلى المدينة شهد حكيم الموسم وهو كافر فوجد

---

(١) «مختصر سيرة الرسول» للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: (ص ١٠٣).

(٢) «تاريخ عمر بن الخطاب» لابن الجوزي: (ص ١٣).

(٣) أخرجه البخاري، باب إسلام عمر بن الخطاب: (١/ ٥٤٥).

حلة لذي يزن تباع فاشتراها ليهديها لرسول الله ﷺ، فقدم بها عليه المدينة فأراده على قبضها هدية فأبى.

فقال: «**إنا لا نقبل من المشركين شيئاً ولكن إن شئت أخذتها منك بالثمن**» فأعطيته إياها حين أبى علي الهدية فلبسها فرأيتها عليه على المنبر فلم أر شيئاً أحسن منه يومئذ، ثم أعطاها أسامة بن زيد فرآها حكيم على أسامة.

فقال: يا أسامة أنت تلبس حلة ذي يزين؟!

فقال: نعم والله لأنا خير من ذي يزن ولأبي خير من أبيه.

قال حكيم: فانطلقت إلى أهل مكة أعجبهم بقول أسامة»[1].

موقف عمر بن الخطاب مع أبي عبيدة رضي الله عن الجميع:

عن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة.

فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟! تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير: (٣/ ٢٠٢) برقم (٣١٢٥).

فقال عمر: أوه! لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمة محمد ﷺ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»(١).

◻ موقف ربعي بن عامر وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة مع رستم:

أرسل سعد بن أبي وقاص إلى المغيرة بن شعبة .. وحذيفة بن محصن وربعي بن عامر .. فقال: إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم فما عندكم؟ قالوا جميعاً: نتبع ما تأمرنا به وننتهي إليه فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس فكلمناهم به.

فقال سعد: هذا فعل الحزمة اذهبوا فتهيؤوا.

فقال ربعي بن عامر: إن الأعاجم لهم آراء وآداب، ومتى نأتهم جميعاً يروا أنا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل، فمالأوه جميعاً على ذلك، فقال: فسرحوني فسرحوه

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: (١/ ١٣٠) برقم (٢٠٧). وقد صور لنا رسول الله ﷺ قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال: **«والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه** - وأشار بالسبابة - **في اليم فلينظر بم يرجع»** رواه مسلم.

فخرج ربعي ليدخل على رستم وعسكره فاحتبسه الذين على القنطرة، وأرسل إلى رستم لمجيئه فاستشار عظماء أهل فارس فقال: ما ترون أنباهي أم نتهاون؟ فأجمع ملؤهم على التهاون، فأظهروا الزبرج وبسطوا البسط والنمارق ولم يتركوا شيئاً، ووضع لرستم سرير الذهب وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربعي يسير على فرس له زباء قصيرة، معه سيف له مشوف، وغمدة لفافة ثوب خلق، ورمحه معلوب بقد، معه حجفة من جلود البقر؛ على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف، ومعه قوسه ونبله، فلما غشي الملك، وانتهى إليه وإلى أدنى البسط، قيل له: انزل فحملها على البساط، فلما استوت عليه، نزل عنها وربطها بوسادتين فشقهما، ثم أدخل الحبل فيهما، فلم يستطيعوا أن ينهوه؛ وإنما أروه التهاون وعرف ما أرادوا، فأراد استخراجهم، وعليه درع له كأنها أضاة ويلمقه عباءة بعيره، قد جابها وتدرعها، وشدها على وسطه بسلب وقد شد رأسه بمعجرته؛ وكان أكثر العرب شعرة، ومعجرته نسعة بعيره؛ ولرأسه أربع ضفائر؛ قد قمن قياماً، كأنهن قرون الوعلة.

فقالوا: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت. فأخبروا رستم؛ فقال: ائذنوا به؛ هل هو إلا رجل واحد! فأقبل يتوكأ على رمحه، وزجه نصل يقارب الخطو، ويزج النمارق والبسط؛ فما ترك لهم نمرقة ولا بساطاً إلا أفسده وتركه منهتكاً مخرقاً؛ فلما دنا من رستم تعلق به الحرس، وجلس على الأرض، وركز رمحه بالبسط.

فقالوا: ما حملك على هذا؟

قال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه.

فكلمه، فقال: ما جاء بكم؟

قال: الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبداً؛ حتى نفضي إلى موعود الله.

قال: وما موعود الله؟

قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.

فقال رستم: قد سمعت مقالتكم؛ فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا!!

قال: نعم، كم أحب إليكم؟ أيوماً أو يومين؟

قال: لا؛ بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا، وأراد مقاربته ومدافعته.

فقال: إن مما سن لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا، ألا نمكن الأعداء من آذاننا، ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثا، فانظر في أمركم وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء، فنقبل ونكف عنك، وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه، وإن كنت إليه محتاجاً منعناك؛ أو المنابذة في اليوم الرابع؛ ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا؛ أنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى.

قال: أسيدهم أنت؟

قال: لا؛ ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض؛ يجير أدناهم على أعلاهم.

فخلص رستم برؤساء أهل فارس فقال: ما ترون هل رأيتم كلاماً قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل؟

قالوا: معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب! أما ترى إلى ثيابه!

فقال: ويحكم لا تنظروا إلى الثياب؛ ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب تستخف باللباس والمأكل ويصونون الأحساب، ليسوا مثلكم في اللباس، ولا يرون فيه ما ترون.

وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه، ويزهدونه فيه.

فقال لهم: هل لكم إلى أن تروني فأريكم؟

فأخرج سيفه من خرقة كأنه شعلة نار.

فقال القوم: اغمده؛ فغمده؛ ثم رمى تُرساً ورموا حَجَفته فخرق تُرسهم، وسلمت حجفته.

فقال: يا أهل فارس؛ إنكم عظمتم الطعام واللباس والشراب؛ وإنا صغرناهن.

ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل، فلما كان من الغد بعثوا: أن ابعث إلينا ذلك الرجل؛ فبعث إليهم سعد حذيفة بن محصن، فأقبل في نحو من ذلك الزي،

حتى إذا كان على أدنى البساط، قيل له: انزل، قال: ذلك لو جئتكم في حاجتي؛ فقولوا لملككم: أله الحاجة أم لي؟ فإن قال: لي؛ فقد كذب؛ ورجعت وتركتكم؛ فإن قال: له؛ لم آتكم إلا على ما أحب.

فقال: دعوه، فجاء حتى وقف عليه ورستم على سريره.

فقال: انزل، قال: لا أفعل، فلما أبى سأله: ما بالك جئت ولم يجئ صاحبنا بالأمس؟

قال: إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء؛ فهذه نوبتي.

قال: ما جاء بك؟

قال: إن الله عز وجل منّ علينا بدينه؛ وأرانا آياته، حتى عرفناه وكنا له منكرين. ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث؛ فأيها أجابوا إليها قبلناها: الإسلام وننصرف عنكم، أو الجزاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك، أو المنابذة.

فقال: أو الموادعة إلى يومٍ ما؟

فقال: نعم ثلاثا من أمس. فلما لم يجد عنده إلا ذلك رده وأقبل على أصحابه.

فقال: ويحكم! ألا ترون إلى ما أرى! جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا، وحقر ما نعظم، وأقام فرسه على زبرجنا وربطه به؛ فهو في يمن الطائر، ذهب بأرضنا وما فيها إليهم، مع فضل عقله. وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا؛ فهو في يمن الطائر، يقوم على أرضنا دوننا؛ حتى أغضبهم وأغضبوه، فلما كان من الغد أرسل: ابعثوا إلينا رجلاً، فبعثوا إليه المغيرة بن شعبة.

فلما جاء المغيرة إلى القنطرة فعبرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستم في إجازته، ولم يغيروا شيئاً من شارتهم، تقوية لتهاونهم؛ فأقبل المغيرة بن شعبة، والقوم في زيهم؛ عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، وبسطهم على غَلْوة لا يصل إلى صاحبهم؛ حتى يمشي عليهم غلوة، وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي، حتى جلس معه على سريره ووسادته؛ فوثبوا عليه فتروه وأنزلوه ومغثوه.

فقال: كانت تبلغنا عنكم الأحلام؛ ولا أرى قوماً أسفه منكم! إنا معشر العرب سواء؛ لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه؛ فظننت أنكم تُواسون قومكم كما نتواسى؛ وكان أحسن من الذي صنعتم أن

تخبروني أن بعضهم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه؛ ولم آتكم؛ ولكن دعوتموني اليوم؛ علمت أن أمركم مضمحل؛ وأنكم مغلوبون؛ وأن مُلكا لا يقوم على هذه السيرة، ولا على هذه العقول.

فقالت السفلة: صدق والله العربي.

وقالت الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه؛ قاتل الله أولينا، ما كان أحمقهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة! فمازحه رستم ليمحو ما صنع، وقال له: يا عربي إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك، فيتراخى عنها مخافة أن يكسرها عما ينبغي من ذلك؛ فالأمر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق؛ ما هذه المغازل التي معك؟

قال: ما ضرّ الجمرة ألا تكون طويلة! ثم راماهم.

وقال: ما بال سيفك رثا!

قال: رث الكسوة، حديد المضربة. ثم عاطاه سيفه.

ثم قال له رستم: تكلم أم أتكلم؟

فقال المغيرة: أنت الذي بعثت إلينا؛ فتكلم، فأقام الترجمان بينهما، وتكلم رستم، فحمد قومه، وعظم أمرهم

وطوله، وقال: لم نزل متمكنين في البلاد، ظاهرين على الأعداء، أشرافاً في الأمم؛ فليس لأحد من الملوك مثل عزنا وسلطاننا، نُنصر على الناس ولا ينصرون علينا إلا اليوم واليومين، أو الشهر والشهرين؛ للذنوب؛ فإذا انتقم الله فرضي رد إلينا عزنا، وجمعنا لعدونا شر يوم هو آت عليهم. ثم إنه لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمرا منكم؛ كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة، لا نراكم شيئاً ولا نعدكم، وكنتم إذا قحطت أرضكم، وأصابتكم السنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء من التمر والشعير ثم نردكم، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم، وآمر لكل رجل منكم بوقر تمر وبثوبين، وتنصرفون عنا، فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا آسركم.

فتكلم المغيرة بن شعبة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن الله خالق كل شيء ورازقه؛ فمن صنع شيئاً فإنما هو الذي يصنعه هو له. وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك؛ من الظهور على الأعداء والتمكن في البلاد

وعظم السلطان في الدنيا؛ فنحن نعرفه، ولسنا ننكره؛ فالله صنعه بكم؛ ووضعه فيكم؛ وهو له دونكم؛ وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال، وضيق المعيشة واختلاف القلوب؛ فنحن نعرفه؛ ولسنا ننكره؛ والله ابتلانا بذلك، وصيرنا إليه، والدنيا دول؛ ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه؛ ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم، ويصيروا إليها؛ ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوي شكر، كان شكركم يقصر عما أوتيتم، وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال؛ ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر؛ كان عظيم ما تتابع علينا مستجلبا من الله رحمة يرفه بها عنا، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه؛ أو كنتم تعرفوننا به؛ إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا ... ثم ذكر مثل الكلام الأول؛ حتى انتهى إلى قوله: وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكن لنا عبدا تؤدي الجزية عن يد وأنت صاغر، وإلا فالسيف إن أبيت!! فنخر نخرة واستشاط غضباً، ثم حلف بالشمس لا يرتفع لكم الصبح غداً حتى أقتلكم أجمعين. فانصرف المغيرة[1].

(١) «تاريخ الطبري»: (٢/ ٤٠١-٤٠٤).

قصة الغلام المؤمن:

عن صهيب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر همس، والهمس في قول بعضهم: تحرك شفتيه كأنه يتكلم، فقيل له إنك يا رسول الله إذا صليت العصر همست؟ قال: إن نبياً من الأنبياء كان أُعجب بأمته فقال من يقوم لهؤلاء؟ فأوحى الله إليه أن خيِّرهم بين أن أنتقم منهم وبين أن أُسلط عليهم عدوهم فاختاروا النِّقمة، فسلّط عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون ألفاً، قال: وكان إذا حدَّث بهذا الحديث حدَّث الحديث الآخر، قال: كان ملكٌ من الملوك وكان لذلك الملك كاهنٌ يكهنُ له، فقال الكاهنَ: انظروا لي غلاماً فهِمًا أو قال: فطنا لقناً فأعلِّمه علمي هذا، فإني أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العَلمُ ولا يكون فيكم من يعلمه، قال: فنظروا له على ما وصف، فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن وأن يختلف إليه، فجعل يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب في صومعة قال معمرٌ: أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين، قال: فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مرّ به فلم يزل به حتى أخبره، فقال: إنما أعبدُ الله، قال: فجعل الغلام يمكثُ عند الرَّاهب ويبطئُ عن الكاهن، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام:

إنه لا يكادُ يحضرني، فأخبر الغلام الراهبَ بذلك، فقال له الرَّاهب: إذا قال لك الكاهن: أين كنت؟ فقل: عند أهلي، وإذا قال لك أهلك: أين كنت؟ فأخبرهم أنَّك كنت عند الكاهن، قال: فبينما الغلام على ذلك إذ مرَّ بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابةٌ فقال بعضهم: إن تلك الدابة كانت أسداً، قال: فأخذ الغلام حجراً فقال: اللهم إن كان ما يقول الرَّاهب حقاً فأسألُك أن أقتُلها، قال: ثم رمى فقتل الدَّابَّة، فقال الناس: من قتلها؟ قالوا الغلام، ففزع الناس وقالوا: لقد علم هذا الغلام علماً لم يعلمه أحدٌ، قال: فسمع به أعمى فقال له: إن أنت رددْتَ بصري فلك كذا وكذا، قال له: لا أُريد منك هذا ولكن أرأيت إن رجع إليك بصرك أتُومنُ بالذي رَدَّهُ عليك؟ قال: نعم. قال: فدعا الله فردَّ عليه بصره فآمن الأعمى فبلغ الملكَ أمرُهم فَبَعث إليهم فأُتي بهم فقال: لأقتُلن كل واحد منكم قتلةً لا أقتُلُ بها صاحبهُ، فأمر بالرَّاهب والرّجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتلَهُ وقتل الآخر بقتلة أُخرى، ثم أمر بالغلام فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوهُ من رأسه، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل فلما انتهوا به إلى ذلك المكان الذيَ أرادوا أن يُلقُوهُ منه جعلوا يتهافَتُون من ذلك الجبل ويتردون

حتى لم يبق منهم إلا الغلام، قال: ثمَّ رجع فأمر به الملكُ أن ينطلقوا به إلى البحر فيُلقونَهُ فيه، فانطُلق به إلى البحر فغرّق الله الذين كانوا معه وأنجاه، فقال الغلام للمَلك: إنك لا تقتُلني حتى تَصلُبني وترميني وتقول إذا رميتني: بسم الله رب هذا الغلام، قال: فأمر به فصُلب ثمَّ رمَاهُ فقال: بسم الله رب الغلام، قال: فوضعَ الغلام يده علَى صدُغه حين رُمي ثم مات، فقال أُناس: لقد عَلمَ هذا الغُلامُ علماً ما عَلمَهُ أحدٌ فإنَّا نؤمنُ بربِّ هذا الغلام، قالَ: فقيل للملك: أجَزعْتَ أن خالفَكَ ثلاثةٌ فهذا العالمُ كُلُّهم قد خالفوكَ، قال: فَخَدَّ أخدُوداً ثم ألقى فيها الحطب والنَّار ثُمَّ جَمَع الناس فقال: من رجع عن دينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار، فجعل يلقيهم في تلك الأخدود، قال: يقول الله تبارك وتعالى فيه: ﴿قُتلَ أصْحَابُ الأُخْدُود النَّار ذات الوَقُود﴾ حتى بلغ ﴿العَزيز الحَميدَ﴾ قال: فأمَّا الغلام فإنه دُفنَ فيُذكَرُ أنَه أخرج في زمن عمر بن الخَطاب وأُصبُعُهُ على صدغه كمَا وضعَهَا حين قُتلَ»(١).

▫ موقف عبدالله بن حذافة السهمي:

عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي أبو حذافة أو أبو حذيفة .. من مناقب

(١) رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

عبدالله بن حذافة ما أخرجه البيهقي من طريق ضرار بن عمرو عن أبي رافع قال: وجه عمر جيشاً إلى الروم وفيهم عبدالله بن حذافة فأسروه.

فقال له ملك الروم: تنصر أشركك في ملكي.

فأبى. فأمر به فصلب وأمر برميه بالسهام.

فلم يجزع فأنزل.

وأمر بقدر فصب فيها الماء وأغلي عليه وأمر بإلقاء أسير فيها فإذا عظامه تلوح، فأمر بإلقائه إن لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى!

قال: ردوه. **فقال:** لم بكيت؟

قال: تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هكذا في الله!!

فعجب. فقال: قبل رأسي وأنا أخلي عنك.

فقال: وعن جميع أسارى المسلمين.

قال: نعم. فقبل رأسه فخلى بينهم.

فقدم بهم على عمر فقام عمر فقبل رأسه[1].

---

(١) «الإصابة في تمييز الصحابة»: (٤/٥٧) ورقمه (٤٦٢٥). وأخرج ابن عساكر لهذه القصة شاهداً من حديث ابن عباس موصولاً وآخر من فوائد هشام بن عثمان من مرسل الزهري.

موقف حماد بن سلمة مع محمد بن سليمان :

عن مقاتل بن صالح الخراساني قال: دخلت على حماد ابن سلمة فإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها، فبينما أنا عنده جالس إذا دق داق الباب.

فقال: يا صبية اخرجي فانظري من هذا.

فقالت: رسول محمد بن سليمان.

قال: قولي له يدخل وحده.

فدخل فناوله كتابا فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان إلى حماد ابن سلمة، أما بعد: فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها، والسلام.

قال: يا صبية هلمي الدواة ثم قال لي اقلب الكتاب واكتب: أما بعد: وأنت فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً، فإن كانت وقعت مسألة فأتنا واسألنا عما بدا لك، وإن أتيتني فلا تأتني إلا وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك، فلا أنصحك ولا أنصح نفسي، والسلام.

فبينا أنا عنده دق داق الباب. **فقال:** يا صبية اخرجي فانظري من هذا؟ **فقالت:** محمد بن سليمان.

قال: قولي له ليدخل وحده.

فدخل فسلم ثم جلس بين يديه. فقال: ما لي إذا نظرت إليك امتلأت رعباً؟

فقال حماد: سمعت ثابتاً البناني يقول: سمعت أنس ابن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله عز وجل هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شيء**».

فقال: أربعون ألف درهم تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه.

قال: اردها على من ظلمته بها.

قال: والله ما أعطيتك إلا ما ورثته.

قال: لا حاجة لي فيها ازوها عني زوى الله عنك أوزارك.

قال: فتقسمها.

قال: فلعلي إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض من لم يرزق منها: لم يعدل ازوها عني زوى الله عنك أوزارك[1]

(١) «صفوة الصفوة»: (٢/ ٨٥٨-٨٥٩).

موقف سعيد بن المسيب مع عبدالملك بن مروان:

عن ميمون بن مهران، قال: قدم عبدالملك بن مروان المدينة، فامتنعت منه القائلة، واستيقظ، فقال لحاجبه: انظر، هل في المسجد أحد من حُدَّاثنا، فخرج فإذا سعيد ابن المسيب في حلقته، فقام حيث ينظر إليه، ثم غمزه وأشار بإصبعه، ثم ولى، فلم يتحرك سعيد، فقال: لا أراه فطن، فجاء ودنا منه، ثم غمزه وقال: ألم ترني أشير إليك؟

قال: وما حاجتك؟ قال: أجب أمير المؤمنين.

فقال: إليّ أرسلك؟

قال: لا، ولكن قال: انظر بعض حداثنا، فلم أر أحدا أهيأ منك.

قال: اذهب فأعلمه أني لست من حداثه، فخرج الحاجب وهو يقول: ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً، وذهب فأخبر عبدالملك.

فقال: ذاك سعيد بن المسيب، فدعه[1].

فلله دره من إمام في عزة نفسه، وصدعه بالحق.

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد: (٥/ ٣٠).

موقف مالك بن أنس مع هارون الرشيد:

قال مالك بن أنس: وجَّه إليّ هارون الرشيد، فسألني أن أحدثه.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن العلم يؤتى ولا يأتي، فصار إلى منزلي!! فاستند معي في الجدار.

فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم. **قال:** فقام فجلس بين يديّ!!

فقال لي بعد مدة: يا أبا عبدالله، تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان ابن عيينة فلم ننتفع به، وكان سفيان يأتيهم إلى بيوتهم فيأخذ دراهم[1].

موقف محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب مع المهدي:

قال أبو العيناء: لما حج المهدي دخل مسجد رسول الله ﷺ فلم يبق أحد إلا قام إلا ابن أبي ذئب.

فقال له المسيب بن زهير: قم هذا أمير المؤمنين.

فقال: إنما يقوم الناس لرب العالمين!!

فقال المهدي: دعه فلقد قامت كل شعرة في رأسي[2].

---

(١) «المصباح المضيء» لابن الجوزي. نقلاً من: صلاح الأمة في علو الهمة: (٣/ ١٣٣-١٣٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء»: (٧/ ١٤٣).

موقف طاووس مع هشام بن عبدالملك:

قدم هشام بن عبدالملك حاجاً إلى مكة، فلما دخلها قال: ائتوني برجل من الصحابة.

فقيل: يا أمير المؤمنين، قد تفانوا.

قال: فمن التابعين، **فأتوه** بطاووس اليماني.

فلما دخل عليه، خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسلم بإمرة أمير المؤمنين، ولكن قال: السلام عليك، ولم يُكنّه، ولكن جلس بإزائه. وقال: كيف أنت يا هشام؟

فغضب هشام غضباً شديداً، حتى همّ بقتله.

فقيل له: أنت في حرم الله ورسوله، فلا يمكن ذلك.

فقيل له: يا طاووس، ما الذي حملك على ما صنعت؟

قال: وما الذي صنعت؟!

فازداد هشام غضباً، وقال: لقد خلعت نعليك بحاشية بساطي، ولم تقبل يدي، ولم تسلم بإمرة أمير المؤمنين، ولم تُكنني، وجلست بإزائي بغير إذني. وقلت: كيف أنت يا هشام!!

فقال: أما ما خلعت نعليّ بحاشية بساطك، فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات، فلا

يعاتبني ولا يغضب عليّ.

وأما قولك: لم تقبل يدي؛ فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «**لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد، إلا امرأته من شهوة أو ولده برحمة**».

وأما قولك: لم تسلم بإمرة أمير المؤمنين؛ فليس كل الناس راضين بإمرتك، فكرهت أن أكذب.

وأما قولك: جلست بإزائي؛ فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، فانظر إلى رجل جالس وحوله ناس قيام.

وأما قولك: لم تُكنني، فإن الله عز وجل سمى أولياءه، وقال يا داود، يا يحيى، يا عيسى، وكنى أعداءه فقال: ﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾.

فقال هشام: عظني.

فقال: سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول: «**إن في جهنم حيّات كأمثال القلال، وعقارب كالبغال، تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته**». ثمَ قام وذهب[1].

---

(١) «مواعظ ومواقف للعلماء والصالحين أمام الحكام والسلاطين»: (ص ٦٢) نقلاً: من صلاح الأمة في علو الهمة: (٣/ ١٥٢-١٥٣).

موقف سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب مع هشام بن عبدالملك:

قال ابن عيينة دخل هشام الكعبة فإذا هو بسالم بن عبدالله، فقال: سلني حاجة.

قال: إني أستحيي من الله أن أسأل في بيته غيره.

فلما خرجا؛ **قال:** الآن فسلني حاجة.

قال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟

قال: من حوائج الدنيا

قال: والله ما سألت الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها!![1].

موقف الإمام البخاري مع أمير بخارى:

بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي - والي بخارى - إلى محمد بن إسماعيل أن احمل إليّ كتاب الجامع والتاريخ؛ لأسمع منك.

فقال البخاري لرسوله: قل له: إني لا أُذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضرني في مسجدي أو في داري، فإن لم

(١) «السير»: (٤/٤٦٦).

يعجبك هذا فأنت سلطان، فامنعني من المجلس؛ ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة: أني لا أكتم العلم؛ فكانت سبب الوحشة بينهما[١].

موقف الشيخ عبدالحميد الجزائري والمندوب السامي:

استدعى المندوب السامي الفرنسي - في سورية - الشيخ عبدالحميد الجزائري، وقال له: إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار وإلا أرسلت جنوداً لإغلاق المسجد الذي تنفث فيه هذه السموم ضدنا، وإخماد أصواتك المنكرة.

فأجاب الشيخ عبدالحميد: أيها الحاكم، إنك لا تستطيع ذلك؟!

واستشاط الحاكم غضباً، وقال: كيف لا أستطيع؟

قال الشيخ: إذا كنت في عرس علمت المحتفلين، وإذا كنتَ في مأتم وعظت المعزين، وإن جلست في قطار علمت المسافرين، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني ألهبت مشاعر المواطنين، وخير لك أيها الحاكم ألا تتعرض للأمة في دينها ولغتها[٢].

---

(١) «مقدمة فتح الباري» نقلاً من صلاح الأمة: (٣/ ٢٠١).

(٢) «أقباس روحانية» نقلاً من صلاح الأمة: (٣/ ٢٧٧-٢٧٨) بتصرف.

موقف الشيخ حسن العدوي أمام السلطان العثماني :

عندما زار السلطان العثماني عبدالعزيز مصر في عهد إسماعيل باشا كان إسماعيل حفياً بالزيارة، لأنها كانت جزءاً من برنامجه للحصول على لقب خديوي، مع عدة امتيازات في نظام الحكم بمصر. وكان من برنامج الزيارة أن يستقبل الخليفة العلماء في السراي، ولكن كانت للمقابلة السنية تقاليد، منها أن ينحني الداخل إلى الأرض، وغير ذلك من التقاليد السخيفة المنافية لروح الإسلام، فقد كان حتماً على رجال السراي أن يدربوا العلماء على طريقة المقابلة عدة أيام؛ كي لا يخطئوا في حضرة السلطان. وعندما حان الموعد، دخل السادة العلماء الأجلاء فنسوا دينهم واشتروا به دنياهم، وانحنوا أمام مخلوق مثلهم تلك الانحناءات، وخرجوا موجهين وجوههم إلى الخليفة، كما أمرهم رجال التشريفات، إلا عالماً واحداً هو الشيخ حسن العدوي، ذكر دينه ونسي دنياه، واستحضر في قلبه أن لا عزة إلا لله، ودخل مرفوع الرأس كما ينبغي أن يدخل الرجال الأحرار، وواجه الخليفة بتحية الإسلام: السلام عليكم يا أمير المؤمنين.

وابتدره بالنصيحة التي ينبغي أن يتلقى بها العالم الحاكم، دعاه إلى تقوى الله، والخوف من عذابه، والعدل والرحمة بين رعاياه، فلما انتهى سلم، وخرج مرفوع الرأس وأسقط في يد الخديوي ورجال السراي، وظنوا أن الأمر كله قد انقلب عليهم، وأن السلطان لابد غاضب، فضائعة تلك الجهود التي بذلوا، والآمال التي نسجوا، ولكن كلمة الحق المؤمنة لا تذهب سدًى، فلابد أن تصدع القلوب قوية حارة، كما نبعت من مكمنها قوية حارة، وهكذا كان، فقال السلطان: ليس عندكم إلا هذا العالم. وخلع عليه دون سواه[1].

موقف أحد علماء الأزهر والسلطان عبدالعزيز:

لما قدم السلطان عبدالعزيز مصر زار الجامع الأزهر وصحبه الخديوي إسماعيل، فلحظ الخديوي على شيخ بالجامع كأنه غير مهتم، فهو مسند ظهره، مادٌّ رجله، فأسرع بالسلطان عنه، ثم كلف أحد رجاله - وقد أراه الشيخ - أن يذهب له بصرةً، يريد أن يعرف حاله، فلما جاء الرسول ليعطيه قبض الشيخ عنه يده، وقال له: قل لمن أرسلك: إن من يمد رجله لا يمد يده[2].

---

(١) «مواقف حاسمة للعلماء في الإسلام» نقلاً من صلاح الأمة: (٣/ ٢٨١-٢٨٢).

(٢) نقلاً من صلاح الأمة

موقف الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي مع خورشيد :

جيء بالشيخ المجاهد سعيد النورسي ليمثل أمام خورشيد باشا، فسأله خورشيد وهو ينظر إلى الأجساد التي تتأرجح في الهواء: وهل أنت أيضاً تدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية يا شيخ سعيد؟

فأجابه - وهو ينظر إلى أجساد إخوانه الذين أكرمهم الله بالشهادة -: اعلم يا خورشيد أنه لو كان لي ألف روح، لما ترددت أن أجعلها كلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام، واسمع مني جيداً يا خورشيد، إنني لا أخشى حكمكم بإعدامي، فقد هيأت نفسي بشوق عظيم للذهاب إلى الآخرة، لألحق بإخواني الذين سبقوني إلى أعواد المشانق لينالوا الشهادة في سبيل الله.

واكتفى الطغاة بسجنه، ومضى - رحمه الله - في قيادة مسيرة الحركة الإسلامية الممتحنة في تلك الأيام العصيبة[1].

وأخيراً أسأل الله تعالى أن ينصر دينه، وأن يعزنا بالإسلام، وأن يذل الكفر وأهله، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) «مواقف بطولة من صنع الإسلام: (ص ٤٩-٥٦) نقلاً من صلاح الأمة: (٣/ ٤٩٥-٤٩٦).

الفهرس

الموضوع	ص
◘ المقدمة	٣
◘ تمهيد	٥
◘ تعريف العزة	٨
◘ معاني العزة	١١
★ الفصل الأول: أقسام العزة	١٣
★ الفصل الثاني: مصادر العزة	٢٥
★ الفصل الثالث: أسباب العزة	٣٧
★ الفصل الرابع: مواقف وأحداث في طريق العزة	٦٥
◘ الفهرس	٩٦